

وسائله أين الرحيل وسائل * * * ومن يسأل الصعلوك أين مذهب مذهب مذهب: إن الفجاج عريضة * * * إذا ضن عنه بالنوال أقاربه قلت: هذا الصعلوك الثاني بارد الطبع مردول.. ألا تراه بمدعينيه إلى موجود ذوى قرباه ويود أن يمدوه بشيء أو ببعض الشيء، إلا أنهم يضمنون بالشيء. وبعض الشيء.. فهو يواجه المسألة، بل لعله يلحف فيها إلحافاً ولا يصرفه إلا اليأس.. لقد أقامت نفسه على الضيم، ثم أقامت فما تحولت ولا استقامت على الطريقة - طريقة النفس الابية - إلا بعد أن صدمتها الدنية ودفعتها دفعاً إلى عرض الطريق فأين هذا من ذاك؟ قال: لست أدري أيكون "أبو النشاش، كما رأيته سائلاً مردولاً لا يطرده إلا القنوط من رحمة المسئول، أم تكون تلك طريقة قولية، وأنه لم يسأل ولم يطرد وأنه استقل بأمر الحزم الحازم، لا سؤال الأقارب والأخوان والاعتراض للحرمان والهوان؟ أقول لست أدري، ولعلي أنا أيضاً مثله، أنهج نهجاً قولياً في حين أنى أدري، فأبو النشاش يقول في هذا الشعر نفسه: و دوية قفر يحار بها القطا * * * سرت بأبي النشاش فيها ركائبه ليدرك ثأراً أو ليطلب مغنماً * * * ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه إن إنساناً يدلج أو تسرى به ركائبه في الفياض التي يحار فيها القطا على خبرته وعدم حيرته في العادة حتى ليقال للرجل الدليل الخبير بالطرق، "أدل من قطاة، إن إنساناً يركب هذا الوعر لينتهب عيشه انتهاهاً أو. ليدرك ثأره، غير جدير أن يكون ما تصورت كلا فأبو النشاش ضريب زميله الشنفري.

قلت: عبارة الشنفري أقوى، فهي لا تحتل ما تحتله عبارة أبا النشاش.. ثم كيف هوزميلة أتأتى زمالة بين جاهلي وإسلامي قال زميله باعتبارهما صعلوكين إذا اعتبرت الصعاليك مذ كانت الصلعة - جماعة بعينها، وما أحسب اللغة تمنعني هذا الاعتبار.